سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ٢ -

متى ترك خالد العراق ؟

قلنا ان الروايات ، ما عدا رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ سفر خالد من العراق . روى المدائني ان خالداً شخص من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وقد أيد ذلك البلاذري ولعله روى الخبر من المدائني . وأورد الذهبي ان كتاب ابي بكر جاء خالداً في اوائل سنة ثلاث عشرة . وهناك روايات عديدة تقول ان أمر ابي بكر وصل الى خالد بعد منصرفه من حجته سنة اثنتي عشرة ، وهذا ينطبق على ما ذكره الذهبي . وما دام خالد تكتم في حجته هذه فلا بد أنه ترك مكة بعد الحج وتوجه تواً الى العراق ، ولا يستطيع أن يصل اليه قبل انقضاء أكثر من نصف شهر . لهذا لا يمكن أن يصل أمر أبي بكر اليه الا في المحرم سنة ثلاث عشرة .

علمنا مما تقدم أن خالداً أغار على الفسانيين بمرج راهط في عيد فصحهم أي في يوم ٢٤ نيسان سنة (٦٣٤) وهذا يصادف يوم ١٩ ربيع الأول سنة (١٣) . واذا فرضنا أن أمر ابي بكر وافى خالداً في منتصف المحرم أو في أواخره ، واذا علمنا أنه قضى بعض الوقت ليتأهب للسفر ، إذن لا يشرع بالسفر الا في نهاية شهر المحرم او في أوائل شهر صفر ، أي قبل منتصف شهر آذار سنة ٦٣٣ أو بعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما المدة التي قضاها في السفر فلا يمكن معرفتها قبل معرفة الطريق التي سار فيها خالد في سفره الى الشام ، ومعرفة فيما اذا قضى بعض الوقت في الاغارات والفتوح كما جاء في الروايات .

الطريق التي سلكها خالد[1] :

أشرنا فيما سبق الى أن خالداً أوفد مدداً وغوثاً الى جيش المسلمين في الشام والى أن ابا بكر استحثه في المسير طالباً اليه أن يسرع الى نجدة اخوانه قبل أن يهاجمهم الروم ؛ لهذا يتراءى لنا أنه يختار الطريق الأقصر في سفره . ولا يخطرن على بالنا أنه سلك طريقاً لا ماء فيها والموسم كما علمنا ، ليس موسم شتاء .

والطريق الأقصر الذي يربط العراق بالشام هو درب الساعي أي ساعي البريد الذي يقطع بادية الشام من الغرب الى الشرق ويبدأ من دمشق ماراً بقرية قُسير وينتهي بقرية هيت على الفرات . ويبلغ طول الطريق هذه أكثر من ستمائة كيلو متر ؛ ولا يوجد فيه الماء الاّ في أماكن محدودة وهو غير متوفر بها ولا يمكن أن تسلكه جماعة كبيرة . لهذا ينبغي لنا أن نفتش على طريق أخرى يكثر فيها الماء . وهذه الطريق إما أن تكون في الشمال أو في الجنوب ، أي الطريق التي تسير بها القوافل بين العراق والشام . والطريق الشمالية تسلك وادي الفرات حتى (الفراض) ثم تترك الوادي وتتوجه الى الشمال الغربي الى (السخنة) ومنها الى تدمر فالقريتين ، فحوّارين ، فدمشق . وتبدأ الطريق الرومانية القديمة من الفراض وتمر بالرحبة والسخنة ثم تذهب الى تدمر ومنها تتشعب عدة طرق رومانية الى حمص وحماة ودمشق . ومن السخنة تتشعب طريق الى الرصافة ومنها الى (صورا) على ضفة الفرات . وطول الطريق هذه من الحيرة الى دمشق أكثر من ألف كيلو متر . وتمر بالحصون التي أقامها الروم على حدود البادية كما تجتاز قلعة تدمر الحصينة . أضف الى ذلك أن الطريق المذكورة تجتاز ديار تغلب وهي القبيلة الكبيرة الموالية للروم ومنها العرب المتنصرة .

(١) راجع الخريطة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لهذا لا يعقل أن خالداً يسلكها لأنها طويلة ، ولأنه لا بد من الاصطدام بالحصون والقلاع . والجند الروماني ومرتزقة العرب مرابطون في المخافر وقد يسعى الروم الى ارسال قوة من مراكز أجنادها لسد الطريق بوجه خالد ومنعه من الانضمام الى المسلمين . وما دام المسلمون بحاجة اليه في الشام فينبغي لخالد أن يتجنب ما يؤخر سيره من قتال ومحاصرة حصون وقلاع .

تفصيل الطريق بين العراق والشام :

ذكر ابن خرداذبة طريقين تقطعان البادية بين العراق والشام .

الأول — الطريق من عين التمر الى بصرى وتفصيلها ، من عين التمر الى (الأخدمية) ثم الى (الخفية) ثم الى (الخالط) ثم الى (سوى) ثم الى (الأجيفر) ثم الى (الغربة) ثم الى بصرى [1] .

الثاني — من الكوفة الى دمشق وتفصيلها من الحيرة الى (القطقطانة) ثم الى (البقعة) ثم الى (الأبيض) ثم الى (الجبة) ثم الى (القلوفى) ثم الى (الرواري) ثم الى (الساعدة) ثم الى (البقيعة) ثم الى (الاعناك) ثم الى (أذرعات) ثم الى (منزل) ثم الى (دمشق) [2] .

لقد ثبت (ألويس موسل) في كتابه هذين الطريقين . فثبت الأولى كما يلي [3]:

(الأخدمية) تسمى اليوم (أخدمية) وهي على خمسة وسبعين كيلومتراً غربي عين التمر . وهو اسم لبئر في شعيب الأخدمية . أما الخفية والخلط فقد تحور اسمها ، والخلط انقلب الى (غدير الخلط) على بعد مائة وعشرة كيلومترات غربي الأخدمية ؛ أما الخفية فهي (خفاية لاهه) على الطريق القديم بين العراق

(١) المسالك والممالك ص (٩٧) .
(٢) » » ص (٩٩) .
(٣) Arabia Dezerta - Aleys Musil. ص (٥٢٦)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والشام غربي غدير الخليط على مسافة مائتين وعشرين كيلو متراً . أما سُوى فذكر موسل ان ابن خرداذبة ذكرها خطأً بدلاً من (فُراقر) لأن البيت الذي أورده شاهداً هو الذي يذكر تفويز خالد بن الوليد من قراقر الى سوى بدلالة رافع ، قراقر في أول المفازة وسوى في منتهاها . ولأن سرى تقع في الشمال بعيدة كثيراً عن هذه الطريق .

أما الغربة فهي (أم غُرُبات) على سبعين كيلو متراً غربي قراقر والمسافة بين أم غربات وبصرى مائة واربعون كيلو متراً .

وقد ثبت موسل الطريق الثانية كما يلي [1]:

القطقطانة هي قرية (القطقطانة) الحالية ولا تزال مسكونة على بعد خمسة واربعين كيلو متراً غربي النجف . والبقعة فلم يثبتها . أما (الأُبَيْضْ) فقد ثبته (بخشم المعزّة) وقال موسل ان (غزّة) مؤنث (الأبيض) وهو على بعد ستين كيلو متراً غربي القطقطانة وبالقرب من بئر (المكن) الغزير المياه . ولعل الحوش هو الجوش وقد وجد موسل في الطريق (خَبْرَة الجوشيه) في نهاية وادي (عَرار) على بعد خمسين كيلو متراً جنوبي غربي الأملكمن . ولعل الجمع هو (غدير الجمان) على ستين كيلو متراً غربي الجوشية . والحوطي (غدير الحط) على خمسة وستين كيلو متراً غربي ، شمالي غربي الجمان . ويجوز جبه تهجئة خاطئة لحوض (مجنية) الكبير الذي تجتمع فيه مياه الأمطار ، وهو على بعد مائة كيلو متر غربي ، شمال غربي الحط . أما القلوفى فوردت باسم (علوى) في مخطوطة اكسفورد لعلها (عَوْدِيّة العَلَوِيّة) وهي على ستة وتسعين كيلو متراً غربي ، شمالي غربي مجنة . والرواري فهو تحريف الدواري أي (الدوارة) الحالية أو تحريف (الزواري) وهو اسم لبركة مهمة على ثمانية وخمسين كيلو متراً غربي العلوية . والساعدة ، يجوز أن تكون منبع (ضَعدَة)

(١) للمصدر السابق ص (٤٠٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على خمسين كيلومتراً غربي الدوارة . وتقع الأعناك والبقيعة في جبل حوران . والمنزل بين أذرعات ودمشق هو (الكسوة) .

وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاويم ثلاث طرق بين العراق والشام [1] .

الطريق الأولى طريق (الكوفة الرُهَيْمَة — البخيت — القرائي — الخَنفِس — أَلحَشيَة — العُزَيفة — قراقر — الأزرق — عمان) .

وقال : « وأما طريق الكوفة فتأخذ من الكوفة الى الرهيمة ١٢ ميلاً ثم الى البخيت نهارين ثم الى القراي مثلها ثم الى الخَنفس نهاراً ثم الى الحشية مثله ثم الى العُزَيفة مثله ثم الى قَراكير مثله ثم الى الأزرق مثله ثم الى عمان مثله ، الجميع ١١ مرحلة خفافاً .

وفصل موصل هذا الطريق وبين أن الرهيمة قرية على بعد ثلاثين كيلومتراً غربي الكوفة . وقال ان البخيت ورد اسمه في مخطوطتي برلين واستانبول (أَلبَريت) وهو على بعد مائة وعشر كيلو مترات غربي ، جنوبي غربي الرهيمة وجاء اسم القرابي في مخطوطة استانبول بدلاً من القرائي وهو غدير القرابي على تسعين كيلو متراً غربي البريت . وقد انقلب اسم بئر الخنفس الى عمارة الخنفس وهي خربة في وادي الأُبَيق على بعد مائة كيلو متر و كيلو مترين غربي ، شمالي غربي القرابي . أما الحشية فهي بريكة (ام إحَشيَة) الواقعة على بعد مائة وخمسة عشر كيلو متراً غربي الخنفس . لم يعثر موصل على مرحلة العزيفة .

ولا ماء في هذه الطريق في مسافة أربعمائة وخمسين كيلو متراً من البريت الى قراقر ولا يعثر المسافر على الماء فيه الا بعد هطول أمطار غزيرة .

الطريق الثانية — طريق (هيت — دمشق) : لم يذكر المقدسي اسماء المراحل في هذه الطريق ولكنه اكتفى بقوله بأنها تقطع في عشرة أيام . فاذا قطع المسافر في كل يوم ستين كيلو متراً فيكون طولها ستمائة كيلو متر .. يؤكد

---

(١) المُقدسي : أحسن التقاويم في معرفة الأقاليم ص (٢٥١ — ٢٥٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

موصل بان هذه الطريق هي الطريق التي تسمى الآن بدرب الساعي الذي كان يريد الهجين بقطعه قبل الحرب العامة الأولى من ضمير الى هيت ماراً ببادية الشام من الغرب الى الشرق . والمسافة من هيت الى (قصير خباز) نحو من خمسين كيلو متراً ومنه الى (الهجرة) أو (المهيجر) مائة وعشرون كيلو متراً ومنه الى (راح) تسعون كيلو متراً وتقع (آبار الملوش) على مقربة منه . ومنه الى (سبع أبيار) مائتا كيلو متر ومنها الى ضمير ستون كيلو متراً .

الطريق الثالثة — طريق (الرحبة — دمشق) . لم يذكر المقدسي مراحلها وجاء في مخطوطة استانبول أن مراحلها عشرة .. يبدأ السفر من الرحبة أي قصبة (ميادين) الحالية الواقعة على الفرات جنوبي دير الزور ومنها الى (آبار الجب) على خمسة وثلاثين كيلو متراً غربي ، جنوبي غربي الرحبة ومنها الى (كلبان الهيل) مائة وخمسة وعشرون كيلو متراً في الاتجاه نفسه ومنها الى (كلبان الأيانية) وهي ذات مياه كثيرة على مائة كيلو متر من كلبان الهيل . والمسافة منها الى ضمير مائة وستة وثلاثون كيلو متراً لاماء فيها . تقطع هذه الطريق في ثمانية أيام .

وهناك طريق آخر بين العراق والشام ، تقطعه القوافل التجارية تبدأ من الأنبار مارة بضفة الفرات اليمنى الى الفراض (أي الصالحية) أو الرحبة (الميادين) ومنها الى السخنة فتدمر فالقريتين فدمشق .

وتوجد طريق أخرى توازيها وبعيدة عن ضفة الفرات تبدأ من عين التمر الى (بردان) ثم الى (الحفى) ثم الى (المُصبّخ) ، ثم تقطع وادي حوران في (عقلات حوران) ومنها الى (الرقة) ثم الى (آبار الجب) ثم الى (السخنة) .

وثمة طريق أخرى من أقصى الجنوب يربط العراق ببلاد الشام ، تأخذ من الحيرة الى دومة الجندل وتمر بوادي السر (وادي سرحان) وتنتهي ببصرى . وتمر بقسمها الأول بالقادسية و (القرعاء) و (ثليفية) و (الحَبّكة) و (البريكات) و (قليب صوير) و (سكاكة) ثم ينتهي بدومة الجندل وتمر بقسمها الثاني بوادي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السر وقد قطعه المنهزمون في معركة الجمل سنة ست وثلاثين هجرية كما جاء في الطبري نقلاً عن سيف بن عمر[1] وجاء في الرواية :

«أجار عصمة بن أبير التيمي عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى ابناء الحكم بعد هزيمتهم في وقعة الجمل وقال لهم اختاروا أحب بلد اليكم أبلغكموه ، قالوا الشام ، فخرج بهم في أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى اذا أوغلوا في بلاد كلب بدومة (دومة الجندل) قالوا (قد وفيت ذمتك) . ولعلهم مروا بعد البصرة بنقرة السلمان وحبكة حتى وصلوا دومة الجندل ومنها الى بصرى بطريق وادي السر .

ولما تعذر على العراقيين من ضباط وموظفين وغيرهم البقاء في سورية بعد احتلال الجيش الفرنسي لها سنة ١٩٢٠ تركوا دمشق على ظهور الابل واجتازوا البادية من ضمير الى كربلاء ومروا بخفية لاهة وانتهوا بالأخيضر . وكان سفرهم في شهر حزيران سنة ١٩٢١ .

ذكرنا الطرق التي تربط العراق بالشام ولنبحث الآن عن الطريق التي سار فيها خالد بن الوليد :

أرسل خالد مدداً وعوناً للمسلمين في الشام وطُلب اليه أن يسرع في النجدة فكان لزاماً عليه أن يختار الطريق الأقصر والأقل خطراً ، كما أنه كان ينبغي له الاّ يجازف في طريقه بالمرور بمناطق تسكنها قبائل معادية وأقيمت فيها مسالح للعدو وألاّ يجهد خيله لأنه بحاجة اليها في مقاتلته للروم في الشام . ويتضح من الروايات ان قبائل بكر بن وائل كانت مع المسلمين وهي تنزل بادية السماوة من طريق (فيد — الأبلة) الى أطراف الحيرة ، ولعل الحيرة وأطرافها كانت في المنطقة الفاصلة بين قبائل تغلب وقبائل بكر ويتضح أيضاً من أخبار الرواة أن قبائل تغلب كانت مناصرة للفرس ومقاتلة للمسلمين . والطرق بين العراق

(١) الطبري : الجزء الثالث ص (٥٤٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والشام ، من الأنبار الى الشمال الغربي ، تمر جميعها بديار تغلب ، ثم بديار كلب وجهراء . أما الطريق في أقصى الشمال المارة بتدمر فعليه حصون ومسالح ومخافر للروم على الحدود أقامها الروم ضد الفرس وضد غارات البدو . وفي الفراض مثلاً ، وتقع على الحدود ، حصنان واحد للروم في غربي الفرات والثاني للفرس في شرقيه . وفي قرقيسيا قلعة للروم في الضفة اليمنى . ومدينة تدمر ومدينة الرصافة الواقعة الى شمالها ، مدينتان محصنتان بأسوار ، وقد أقيمت الحصون والمخافر على طول الطريق بين تدمر ودمشق ، منها مخافر أمامية على حدود البادية ومنها حصون خلفية أقيمت في القرى والقصبات وعلى أماكن الماء .

ومن الواضح أن خالداً لا يقدم على السير في طريق تقل المياه فيه وقد يستطيع المسافر الواحد أو القافلة المؤلفة من بضعة أشخاص أن تسير في الطرق التي تشح فيها المياه ؛ ولا يتيسر للقافلة الكبيرة ، وفيها خيل ، أن تسير في تلك الطرق ، ان وجد الماء فيها ، ففي محلات متباعدة جداً . ومن هذه الطرق طريق (الرحبة — دمشق) وطريق (هيت — دمشق) وقد بدا من تثبيت موصل لها أن أماكن الماء في هاتين الطريقين متباعدة كثيراً وهي اما بركات أو أحواض طبيعية لا يكون الماء فيها الاّ في الشتاء ، بعد نزول أمطار غزيرة . وقد تبين لنا ان خالداً قطع الطريق بين العراق والشام بعد انقضاء موسم الشتاء ، وهو على رأس قوة ليست قليلة العدد وفيها الخيل التي لا تحتمل العطش كالإبل .

عدد الرجال الذين سافر بهم خالد :

تضاربت الروايات في تقدير قوة خالد بن الوليد . فروى المدائني ان قوة خالد تتفاوت بين ستمائة وثمانمائة وأيد البلاذري هذه الرواية وجعل قوة خالد تختلف بين خمسمائة الى ثمانمائة . وأكد ابن الاثير ذلك . أما ابن عساكر فقال انها ثلاثة آلاف وجعل ابن كثير قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة . وقد ورد

هذية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أن أبا بكر أمر خالداً أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس . وفي بعض الروايات أن المثنى اعترض على خالد لما رآه يستأثر بالصحابة ويترك له ممن لم يكن له صحبة ، وقال له والله لا أقيم الا على انفاذ أمر ابي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف [1] وذكر ابن عساكر ان ابابكر كتب الى خالد أن يمضي مخففاً في أهل قوة من الصحابة الذين قدموا معه العراق من اليمامة وصحبوه في الطريق وقدموا عليه من الحجاز [2] . وذكر ابو يوسف ان خالداً خرج بألفين الى العراق ومعهم من الأتباع مثلهم ، فمر بفيد ، فخرج معه خمسمائة من طي ومعه مثلهم فانتهى الى شراف ومعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر [3] . ويتضح مما ذكره أبو يوسف ان الذين خرجوا من الحجاز ألفان ، ولو فرضنا انه أخذ نصفهم حين سفره من العراق امتثالاً لأمر ابي بكر فيكون قد ذهب الى الشام على رأس الف رجل على أكثر تقدير . لهذا لا عبرة بما ذكره ابن كثير من أن قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة وما ذكره ابن عساكر من أنها ثلاثة آلاف . وقد صرحت الروايات ان خالداً رد الضعفاء والنساء الى المدينة ليمضي مخففاً في أهل قوة .

لهذا نرى ان رواية المدائني التي أيدها البلاذري ونقلها ابن الأثير هي أصح الروايات عن قوة خالد . فقوته اذن كانت بين ستمائة وتسعمائة مجاهد . ومن الطبيعي أن القوة كانت راكبة ، ولا يبعد أن يكون ركاب الإبل ردفاً ، كأن يركب اثنان على جمل واحد . ولعل نسبة الخيل من الإبل كانت تتفاوت بين واحد في العشرة الى الواحد في الخمسة عشر .

---

(١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٥) .
(٢) ابن عساكر ، الجزء الأول ص (١٣٨) .
(٣) الخراج ، ص (١٦٩) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مقارنة بين الطرق :

ظهر لنا من الكلام عن الطرق التي تربط العراق بالشام أن الطريقين الأول والثاني اللذين ذكرهما ابن خرداذبة والطرق الثلاثة التي ذكرها المقدسي كانت بأجمعها طرقاً تقطع البادية من الشرق الى الغرب والمياه فيها قليلة ، وهي اما آبار واما غدران او أحواض او جوابي مجمع مياه ، والمسافات بين أماكن الماء بعيدة تقطع في مرحلتين أو في ثلاث مراحل أحياناً . ولا يمكن قطعها بالخيل ويتعذر قطعها بقافلة مؤلفة من عددٍ كبير من الناس الاّ في موسم الأمطار الغزيرة . ويبلغ طول الطريق في أقصى الشمال من عين التمر الى دمشق نحواً من ألف كيلو متر ، وهي تجتاز مسالح الروم وقلاعاً وحصوناً ، يضاف الى ذلك أنها تقطع ديار قبيلة تغلب التي ظهر عداؤها للمسلمين بوقوفها في جانب الفرس ومقاتلتها للمسلمين قبل سفر خالد بن الوليد . ولا يوجد في هذه الطريق موقعا قراقر وسوى اللذان اتفقت الروايات على أن خالداً مر بهما أثناء تفويزه في البادية . وقراقر ماء لكلب وسوى ماء لبهراء وليس لقبيلة كلب منازل في طريق (الفراض ـ أرك ـ تدمر) ، لأن هذه الأماكن واقعة في ديار تغلب . لهذا يصعب الاعتماد على الروايات القائلة إن خالداً مرّ بهذه الدروب ، اذ لا بد له ، في مسيره عليها من مناوشة التغلبيين من جهة ومقاتلة المسالح واضطراره الى محاصرة الحصون والقلاع من جهةٍ أخرى ، وفي ذلك مضيعة للوقت وانهاك لقوته الصغيرة ، فضلاً عن اقتحامه لهذه العقبات جميعها . وقد يتربص له الروم لما ينتهي اليهم من أنباء حركاته ويحولون دون نجدته للمسلمين .

وعلى الرغم من كل ذلك فان دي جويه وكايتاني اعتمدا على الروايات التي تقول إن خالداً مرّ بأرك وتدمر والقريتين وحوارين في طريقه من العراق الى الشام . وكان سبب ذلك عدم المعرفة بموقعي قراقر وسوى . وقد اكتفى جغرافيو العرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على عادتهم بذكر الروايات عن المواقع من دون أن يثبتوا المحل بالضبط ، فذكروا ان قراقر ماء لكلب وسوى ماء لبهراء . وذكر ياقوت في معجمه في مادة قراقر انه ماء لكلب وواد لكلب بالسماوة من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام وفيه قيل :

لله در رافع أنى اهتدى خمساً اذا ما سارها الجيش بكى
ما سارها من قبل أنسي يرى فوز من قراقر الى سوى

وذكر البكري في مادة قراقر انه موضع في ديار كلب واستشهد ببيت نسبه الى خالد:

ضل ضلال رافع أنى اهتدى فوز من قراقر الى سوى
خمساً اذا ما ساره الجيش بكى

ويدل بيت قاله حكيم ان قراقر بشق الشام والبيت كما يلي :

وان بنية قد ناؤنا بدارهم ثحوران أدنى دارهم فقراقر

وقد استند كايتاني في بحثه [1] الى الرواة من جماعة المدينة كالواقدي والمدائني واعتبر رواية ابن اسحق ناقصة . أما روايات سيف بن عمر وهو من جماعة الكوفة فلم يلتفت اليها . وكايتاني لا يعتمد كثيراً على سيف ويعتبر ما جاء في رواياته من نسج الخيال ولكن الاعتماد على روايات المدائني والواقدي في هذا الصدد من دون تمحيصها ، تظهر لنا ان خالداً ورجاله يخبطون خبط عشواء ويضربون في أرض البادية ويسيرون في اتجاهات متخالفة ، بينما اخوانهم في الشام ينتظرون وصولهم .

---

(١) لم نطلع على ما كتبه كايتاني عن رحلة خالد من العراق الى الشام لأن الجزء الثاني من مجلده الثاني من حوليات الاسلام نفد . والنسخ في مكتبة وزارة الدفاع العراقية ومكتبة دائرة الآثار ناقصة ، لا تحتوي على المجلدين الأول والثاني . وكان الكاتب التركي حسين جاهد بالشين قد ترجم المجلد الأول والجزء الأول للمجلد الثاني ونشر ترجمته في عشرة أجزاء . لهذا ظل الجزء الثاني المجلد الأول بعيداً عن متناول اليد في خزائن بغداد والذي أدرجناه في بحثنا هذا عن آراء كايتاني اقتبسناه من كتاب « العربي موسل – The Arabia Dezerta » نقلا عن ملحقه الباحث عن سفر خالد من العراق الى الشام وهو بحث قيم أماط اللثام عن كثير من النقاط الغامضة وثبت الطريق الذي سلكه خالد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالواقدي [١] جعل خالداً بعد وصوله الى سوى يخرج الى الكوائل ثم يأتي قرقيسيا ، ثم أرك ، ثم دومة الجندل فيفتحها ، ثم يأتي قصم فيصالحه أهلها ثم يبلغ حوارين فيظفر بأهلها أو يسبي ويغنم الى أن يغير على بني غسان في مرج راهط في عيد فصحهم . فخبر الواقدي هذا يدل على أنه كان يجهل جغرافية البلاد ، لهذا اعتمد على الروايات وحشرها حشراً من دون أن يتأكد من موضع الأماكن التي ذكرها .

رأى المدائني [٢] أن خالداً بعد أخذه أمر ابي بكر بالتوجه الى الشام ، قد ذهب من الحيرة لمحاربة العدو في صندوداء ، ثم يقاتل جموع تغلب في المُصيخ والحصيد ، ثم يفوز من قراقر الى سوى ، ثم يأتي أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم ويقاتل أهلها ويظفر بهم حتى يغير على الفسانيين . والرواية هذه تتفق تماماً مع رواية الواقدي في أعمال خالد من سوى الى مرج راهط .

وقد ذكر ابو يوسف [٣] ان خالداً بعد أن توجه من عين التمر وقطع المفاوز أغار على بني تغلب حتى أتى النُقيب والكوائل ثم مر بعانات حتى أتى قرقيسيا وانتهى بعد ذلك الى دمشق . ومن الغريب ان كايتاني الذي يعتبر ابن اسحق من أوثق الرواة أهمل روايته عن سفر خالد ولم يلتفت اليها . ولعل رواية ابن اسحق على قصرها أصدق رواية عن سفر خالد وهي أقدم رواية وصفت كيف استعد خالد في قراقر لاجتياز المفازة الى سوى ودبر أمر الماء . وقد رواها بعده سيف بن عمر والهيثم بن عدي وأشار اليها البلاذري باختصار . ولم تشر رواية ابن اسحق الى أن خالداً مرّ بأرك وتدمر وحوارين . انما جعلت وجهته بعد سوى مرج راهط . وقال ان الطريق استقامت بخالد بعد سوى وتواصلت به المياه حتى أغار على مرج راهط كما جاء في تاريخ ابن عساكر .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (١١٩) .
(٢) الطبري الجزء الثاني ص (٦٠١) .
(٣) الخراج ص ١٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والعمل الوحيد الذي قام به خالد في طريقه ، هو فتحه لعين التمر ، خلافاً لما ذكره ابو يوسف والمدائني والواقدي من فتوح . ولم يذكر ابن اسحق في روايته ، المراحل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقراقر مما يدل على انه لم يحدث شيء غير اعتيادي في هذه الطريق وانه سلك طريق القوافل ذات المياه .

وجرى سيف بن عمر على عادته فأسهب في روايته ولم يشر الى الفتح الذي تم لخالد في سفره وجعل طريقه من الحيرة الى دومة الجندل ومنها الى قراقر فسوى فرج راهط وقدم أخبار الفتوح التي وردت في الروايات الأخرى على سفر خالد ، فذكر فتح عين التمر والقتال في الحصيد والمصيخ والفراض والبشر قبل ذهاب خالد الى الحج في آخر سنة ١٢ هجرية وقبل استلامه كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام أوائل سنة ١٣ هجرية . لقد نبه سيف في روايته الى السبب الذي دعا خالداً الى أن يفوّز من قراقر الى سوى وأوضح السبب الذي حدا بخالد على المجازفة في التفويز برجاله رغم الأخطار التي ذكرها دليله رافع . سأل خالد رافعاً : « كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين » ، هكذا يظهر ان خالداً اجتاز المفازة رغم وجود طريق أمين لأنه أراد ألاّ يقف الروم بوجهه فيمنعونه من نجدة المسلمين في الشام[1] .

واعتمد « دي جويه » بعد أن ناقش الروايات على الرواية التي رواها ابن اسحق وأكمل نقصها بروايات المدائني والبلاذري وزيّف رواية الواقدي التي جعلت مرحلتي الكوائل وقرقيسيا بعد سوى وضعّف أيضاً رواية أبي يوسف التي جعلت خالداً بعد قطعه البادية يمر بعانات والنقيب والكوائل وقرقيسيا وقال[1] :

« ذكر (هانبرج) ان خالداً بسفره من الأنبار وعين التمر كان يستطيع بعد بضع مراحل ان يصل الى تدمر ماراً بأرض خصبة مزروعة . ولكنني أعارضه في ذلك ، لأنه كان ينبغي لخالد أن يسلك طريق الفرات للوصول

(١) مذكرة عن فتح الشام ص (٤٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى الطريق العام ، وبذلك يدور دورة كبيرة ، فاهيك بالأخطار التي تعرض لقوته الصغيرة باجتيازها أرض العدو . ويرى هانبرج ان المنازل أرك وتدمر .. الخ لا يمكن ان تكون على الطريق التي قطعها خالد والتي جعلها في حوران الشرقية على سيف البادية . ولا شك في أن خالداً كان في مكنته بعد ارتحاله من سوى ان يقصد الى الجنوب الغربي ويذهب رأساً الى عمان . بيد أن أكثر الروايات قالت ان خالداً توجه الى الشمال الغربي ونحو أرك . ولا يذكر ابن اسحق أرك وتدمر ولكنه يذكر مرج راهط . ولا تستند فرضية هانبرج الى أساس تاريخي وتضطرنا الى القول بأن خالداً بعد بلوغه بصرى ، لا يسرع للاجتماع بالقادة الذين كانوا ينتظرونه ولكنه يقوم بغزوه نحو تدمر وهذا لا يعقل .

واذا علمنا أن نصف الطريق الثاني التي سار فيها خالد تمر بأرك وبتدمر والقريتين وحوارين ومرج راهط وان بدأ حركته من عين التمر يتعذر علينا الاعتراف بعض الشيء بالقول ان خالداً غامر فاجتاز البادية للوصول الى الطريق العام لبلوغ دمشق من شمالي الجزيرة . ان الاتجاه الذي اتخذه على هذه الصورة يؤدي الى الشمال الغربي . لهذا يلوح لنا بأنه بعد تركه عين التمر تقدم نحو قراقر وفوز منها الى سوى ثم سار الى أرك . . . . . .

حتى اذا وصل خالد في أرك الى الطريق العام مكث قليلاً في تدمر وبعد مدة قصيرة بلغ القريتين ثم الى حوارين فالتقى لأول مرة بقوات انهالت عليه من بصرى وبعلبك تقاومه أعنف مقاومة . . . . . .

ولما اجتاز خالد المضيق الشهير الواقع على طريق (دمشق — حمص) وقف برهة فوق الراية المطلة على المضيق . . . . التي سميت بثنية العقاب ، ثم تقدم جاعلاً دمشق على يمينه وباغت الغسانيين في مرج راهط في يوم الفصح . . . . » .

قلنا ان ما دعا المؤرخين الغربيين الى تصديق أخبار فتوح خالد في طريقه الى الشام واقرار الروايات القائلة انه دخل الشام من طريق تدمر ، هو جهلهم موضع قراقر وسوى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قراقر وسوى :

ومع ان ابن اسحق وابا يوسف جعلا المفازة بين قراقر وسوى بعد عين التمر وان سيف بن عمر وعقبة ذكرا ان المفازة بعد دومة الجندل وان الهيثم بن عدي قال ان خالداً مرّ بالسماوة حتى انتهى الى قراقر ففوز منها وان اللالطائي (ابن عساكر) جعل المفازة قبل وصول خالد الى ضمير وعلى الرغم من كل ذلك فان كايتاني استند الى ما كتبه الرائد بيترس الذي زعم أن قرية (سُوه) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى هي سوى التي مر بها خالد . ولكن موسل ذكر ان اسم القرية المذكورة (السَّويّة) لا (سُوه) وهي قريبة من البوكمال . ويتضح مما كتبه موسل[1] ان كايتاني اعتمد على ما أورده اليعقوبي من ان خالداً ذهب الى الأنبار بعد أخذ أمر ابي بكر وأخذ دليلاً منها وقال ان الأنبار قد تكون قراقر لأنها على نهر الفرات ولأن خالداً أخذ الدليل منها . . . . ولا حاجة للاشارة الى تفاهة هذا الاستنتاج . واذا كانت الأنبار رأس المفازة بين قراقر وسوى فينبغي أن تكون المفازة على ضفة الفرات اليمنى على حين لا طريق القوافل المارة بالفرات ولا الطريق التي توازيه غرباً هي طريق مفازات ، لأن الأول يمر بجانب الفرات والثاني قريباً منه وفيه مياه ، فضلاً عن أن المؤرخين والجغرافيين قالوا ان قراقر ماء لكلب وديار كلب بعيدة عن الفرات وان الطريقين المذكورتين تمران بديار تغلب . وقد أجمعت الروايات على أن خالداً في سفره من العراق اجتاز مفازة بين قراقر وسوى وصرحت بعض الروايات ان طول المفازة خمس ليال وجعل اليعقوبي المفازة بين الأنبار وتدمر وقال ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام وقد ذكرت بعض الروايات ان خالداً فوز قبل وصوله دومة الجندل ومن الروايات ما جعل المفازة في حجة خالد من الفراض الى مكة .

وقد استند كايتاني الى رواية المدائني التي جاء فيها أن خالداً بعد أن فوز

---

(١) Arabia Dezerta ص (٣٠٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من قراقر الى سوى أتى أرك وتدمر ثم بلغ القريتين ... الخ استند الى هذه الرواية وقال ينبغي البحث عن موضع سوى في جوار أرك وزعم أن سوى هي قرية السخنة وبذلك فتش على المفازة بين نهر الفرات والسخنة أي في سلسلة البشرى الممتدة من ضفة الفرات اليمنى الى شمالي شرقي السخنة . ولكن موسل اعترض على رأي كابتاني هذا وقال ان الطريق بين الفرات والسخنة من سلسلة البشرى قصير ، يقطع في يومين أو ثلاثة ، لا في خمس ليال كما جاء في الروايات ثم ان المياه فيه كثيرة .

هكذا يتضح للقارئ ان سبب كل هذا الاختلاف جهل محل قراقر وسوى . ومن نظروا في الخرائط لم يعثروا على هذين الاسمين لأن الخرائط المتيسرة يومئذٍ لم تعرض لها لبعد موضعها عن المناطق الكثيرة القرى ولم يتسن للرواد أن يمروا بها فيثبتوهما في الخريطة . وكان أول وآخر من ثبت هذين الاسمين في الخريطة الرائد الشكوسلوفاكي (ألويس موسل) الذي قطع قبل الحرب العظمى الأولى وفي أثنائها بادية الشام وشمالي جزيرة العرب . وثبت الأسماء التاريخية القديمة ورسمها على الخريطة ومر بقراقر وما يزال البدو يسمونها قراقر بفتح أوله وبلهجتهم وهو معروف لديهم باسم (كلبان قراقر) . وقد صورها موسل [1] وكلمة (كلبان) جمع كليب (قليب) البئر . وذكر ان الآبار فيها أكثر من عشرين بئراً تقع جميعها في الطرف الشمالي الشرقي لحوض المياه بين الجبلين الأسودين (المحاط) (وربذة) وعمق بعض الآبار ثلاثون سنتمتراً (؟) وعمق الأخرى ثمانون سنتمتراً وتقع قراقر شمالي شرقي الجوف (دومة الجندل) على بعد مائتين وثلاثين كيلومتراً وشرقي ، جنوبي شرقي قرية (كاف) في وادي السرحان ، في المحل الذي تنعطف فيه حرّة الشامة من الشمال الى الجنوب الشرقي وعلى شرقي الطريق المار بوادي السرحان بين دومة الجندل وبصرى وفي الحافة الشرقية لهذا الوادي الذي كان العرب يسمونه (بطن السر) وسبب هذه التسمية ان الوادي عريض ، عبارة عن قاع بين هضبتين . وتقع قراقر على بعد خمسمائة كيلومتر جنوبي غربي عين التمر .

(١) وجاء رسمها في ص ١٠١ من كتابه (البادية العربية) Arabia Dezerta .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما موقع سوى فقد قال موصل انه في (سبع يار) على طريق السيارات بين بغداد ودمشق شرقي ضمير على مسافة مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً . والآبار في وادٍ قليل الغور ، تجف مياهها اذا استمر الجفاف عدة سنوات وهي تقع في سهل متموج ، من الصعب الاهتداء اليه . ويعرف موقع سبع أبيار بمرتفعين طبيعيين فوقهما رجم . وقال موصل ان البدو يسمونه (سوى) بسكون أوله وأضاف موصل : انه لا يوجد ماء بين قراقر وسوى [1] .

أما وقد اهتدينا الى موقعي قراقر وسوى بالاعتماد الى ما حققه المستشرق موصل وما أكده شاهد عيان وما جاء في خريطة Persian Gulf طبع وزارة الحربية البريطانية سنة ١٩٢٤ بمقياس واحد على أربعة ملايين فقد تيسر علينا تمحيص الروايات وتفضيل بعضها على بعض .

(يتبع) ——→ طه الهاشمي

(١) ويبدو ان موقع قراقر يعرفه البدو ولا يحتاج كشفه الى كبير عناء ولو سئل الادلاء من العتيل وغيرهم الذين يرافقون القوافل بين الشام والعراق والشام ونجد لتيسر معرفته ، لأنه على ملتقى الطرق وفيه مياه غزيرة سهلة المنال . وقد سألنا الشيخ عبد العزيز العقيلي الموظف في المفوضية السعودية في بغداد ، وقد طاف كثيراً في البادية دليلاً وساعياً وتاجراً ، عن قراقر فما ان ذكرنا له اسمها حتى قال انها بين سبع أبيار والجوف بين رابيتين ، الغربية منها سوداء ، مفتولة الرأس تسمى (مخاط) والرابية القريبة تسمى (الرَّبَدَة) . وقراقر كثيرة الآبار ، والماء قريب من سطح الأرض لا ينضب . وذكر المراحل بين قراقر وسبع أبيار وهي ست ويصفها بأنها مرحلات خفاف . وأكد بأن علامة سبع أبيار رجمان أي كومان من الحجارة والمنازل (أذنه) أي أم أذن و (كتب الشامة) وهي كثبان رملية و (تل الهبر) و (الحويمات) و (غراب الحدالي) ، ثم سبع أبيار . لم يعرف عبد العزيز اسم سوى . والمنازل تلك مسجلة في الخريطة التي رسمها موصل .

وذكر الشيخ عبد العزيز الرابيتين اللتين ورد ذكرهما في الروايات وقال انهما رابيتان متقابلتان على شكل القبة يقعان بين قراقر وسبع أبيار بعد أرض الحرة . اذن كان بالامكان معرفة موقع قراقر كما تم لنا . ولكن لم يتسن للباحثين معرفة هذا المحل الا بعد أن جال الرائد الشكوسلوفاكي موصل في البادية برفقة جماعة من عشيرة الرولة .

المؤلف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net